الـوقت وأثره فــي حيـاة العوائل الحـضرية

م.د. محمد علي مرزا
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

مقدمة :

لم يحظ موضوع الوقت أو الزمن Time نصيبه من الاهتمام في الدراسات والبحوث الجغرافية سيما على مستوى البلد رغم أهمية الوقت في فعاليات وحياة الانسان على الارض. لهذا المؤشر مضامين ودلالات عميقة تزيد من فهم وادراك طبيعة علاقة الافراد بالارض من خلال تنظيم الفعاليات والنشاطات اليومية التي تتأثر بمؤشرات اقتصادية اجتماعية، ثقافية وسياسية .

يمكن أن يُعد الوقت مورداً طبيعياً في حياة الانسان ، تكون حصيلته ايجابية في حالة استثماره في انجاز الفعاليات بصورة منظمة . وبعكسه سيكون هناك ضياع واهدار للوقت الذي لا يعوض في حياة الفرد .

يهدف هذا البحث الى بيان أهمية الوقت من الناحية الجغرافية وكشف علاقة توزيعه وتنظيمه بالمؤشرات الحياتية للعوائل على وفق فرضية فحواها ، ان تنظيم وتناغم توزيع الوقت اليومي في انجاز واشباع الفعاليات اليومية عند العوائل الحضرية يرتبط بمتغيرات معينة وله مضامين مهمة في الحياة .

يمكن رؤية هذا الموضوع وتحليله من خلال المحاور الآتية :

أولاً: مفهوم الوقت واهميته :

يعني الوقت اصطلاحاً ، أختيار أو تنظيم الوقت المطلوب لتنظيم أداء الفعاليات من خلال قياسه بوحدة الساعات بالنسبة للوقت اليومي . (١)

يدخل الوقت ، سيما الوقت الاجتماعي في رؤى علوم اجتماعية عديدة ويشغل أهمية كبيرة فيها. أذ يشكل مؤشراً لتزامن وتنظيم وبناء الحياة في كل المجتمعات . يقاس الزمن ويؤطر بوحدات مختلفة مثل ، وحدات التقويم ، الساعات ، الفصول والفواصل الزمنية لحياة الانسان من الولادة الى الوفاة . كما يستخدم الوقت في تسجيل وتثبيت الاحداث الحياتية الفردية او الاجتماعية المتميزة مثل ، الاحداث الدينية ، السياسية، والاجتماعية المهمة ، فضلاً عن أهميته في توقيت ومراقبة بعض الاحداث الكونية الدورية . (٢)

يشكل الزمن ايضاً ، رسالة يمكن من خلالها معرفة التباين بين الماضي والحاضر، وقراءة الاحداث الزمنية في الماضي لتفسير احداث الحاضر من خلال التأريخ. وتبرز أهمية الوقت بالنسبة لعلم الاجتماع، حيث يمكن جدولة الزمن بأسلوب موضوعي وفق التقويم والوقت الزمني الذي يستخدم في البحوث التجريبية وفي الرؤى والافكار السياسية والاقتصادية . وهناك الاسلوب

الذاتي ايضاً، وهو أسلوب تفسيري – تكويني، يستخدم لتفسير الاحداث والتأكيد على اللحظة الخلاقة الحاضرة التي تمثل زمناً سبق زمن أو وقت تكوين الاحداث .

يبدو أن معالجة وحل معظم المشاكل الحيوية للفلسفة تستند في حل معضلة الترابط بين الحيز المكاني والوقت Time and space (٣) . يمكن الاستدلال بهذا الترابط بصورة عامة حيث يُعد الفضاء (الحيز) عنصراً سلبياً له بُعداً واقعياً من الزمن . اما الزمن فهو أكثر فاعلية وفكراً من ناحية البناء قياساً للمكان . كما يمثل الفضاء ، كينونة قائمة ، اما الزمن فيمثل خلاصة لشبكة العلاقات الدورية والمكانية ضمن الوجود البيئي . وتتجلى العلاقة بينهما من خلال الحركة المادية أو غير المادية التي تجسد وجود العلاقات المكانية .

وفي ضوء هذه الرؤية ، يكون للوقت أهمية كبيرة في الجغرافية أذ يمثل البُعد الثاني بعد البُعد المكاني، سيما ان الجغرافية تتعامل مع المكان كمساحة وكمسافة . ويمثل الوقت أحد الوحدات المهمة في قياس المسافات وتفسير شبكة العلاقات بين الظواهر الجغرافية بصيغ رياضية .

لاشك أن تنظيم أشغال الارض بالفعاليات (التنمية المكانية) يتطلب تنظيم المكان والوقت معاً لأنهما يوفران الموقع والتناسق المكاني المناسب . ويعني هذا وجود علاقة متبادلة ومترابطة بين المكان والوقت، ويمكن أن يحل أو يقاس أحدهما عوضاً عن الآخر في الدراسات الجغرافية .

من هنا ، فأن استغلال الوقت بشكل منظم ومتناغم في أداء الفعاليات البشرية، يُعد عاملاً مهماً في حياة السكان . كما أن الانتفاع به ، يمثل عنصراً انتاجياً يتأثر بعوامل اجتماعية ، اقتصادية ، ثقافية ، ونفسية للسكان . (٤)

ومع بروز المتغيرات الكثيرة في العصر الحديث ، مثل زيادة سكان الحضر ، التقدم التقني والصناعي ، الاصلاحات الاجتماعية والسياسية ، والتشريعات القانونية ، توجه الاهتمام نحو الوقت وتنظيمه من خلال تقليص ساعات العمل الى خمسة ايام ، بمعدل ٨ ساعات عمل في اليوم (٥) ، والتمتع بيومين كاملين في الاسبوع عطلة بدون عمل .

أن أدراك أهمية الوقت وتنظيمه في الوقت الحاضر، يرجع الى تأريخ قديم ، فقد حظي الوقت بأهتمام الفلاسفة مثل أرسطو وشيشرون. تمثلت حكمة الاول بأن " غاية العمل ، كسب الفراغ " وحكمة الثاني " الفراغ هو الذي يجعل الحياة تستحق ان نحياها " (٦). لقد سعت شعوب الحضارات القديمة ايضاً الى تنظيم توزيع الوقت السنوي بين العمل والفراغ. فمثلاً كان لعمال مصر القديمة ٥٣ يوم راحة في العام ، وفي أثينا ٥٠ يوم، وفي روما ١٢٠ يوم(٧) ويبدو أن

الهدف من هذا التنظيم للوقت ، هو لاشباع حاجة الانسان من الراحة والفراغ بأعتباره عاملاً انتاجياً يزيد من النشاط الفكري والجسدي للانسان .

من خلال هذا العرض النظري للوقت وأهميته ، سنحاول رؤية وقراءة كيفية توزيع الوقت اليومي لدى العوائل الحضرية في مدينة بغداد ، وهل يتوافق هذا التوزيع مع الميزانية الزمنية اليومية المثالية ، حيث يقسم الوقت الى ٨ ساعات للعمل ، ٨ ساعات للنوم ، و٨ ساعات للطعام والصحة والراحة ، فضلاً عن أستقراء مضامين هذا التوزيع وعلاقاته بالمؤشرات الاخرى .

ثانياً : دراسة واقع التوزيع اليومي للوقت لدى العوائل الحضرية :

لدراسة وتحليل هذا المحور ، أجري مسحاً ميدانياً بأسلوب استمارات الأستبيان لعينة من العوائل ، بلغت ١٠٠ عائلة في حي أور ، بواقع ٥٠ عائلة من محلة ٣٢٧ و ٥٠ عائلة من محلة ٣٢٥ . وكان المجموع الكلي لعدد أفراد العينة ٦٨١ فرداً . وزعت الاستمارات بصورة عشوائية ، وتضمنت الاستمارة فقرات عن بعض المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ذات الصلة بالموضوع ، وفقرات أساسية عن التوزيع اليومي للوقت على فعاليات (العمل ، النوم ، تناول الطعام ، مشاهدة التلفاز ، التسوق اليومي ، وفعاليات خارج البيت).

وتم تبويب البيانات في جداول ومُثلت برسم بياني ايضاً .

الحقيقة ، ان الوقت كان مهدوراً وليس بذي قيمة في حياة معظم سكان المدينة والقطر بصورة عامة قبل عام ٢٠٠٣ يسبب الوضع الاقتصادي والمعاشي الصعب ، حيث أنشغل معظم افراد العوائل وحتى الاطفال في مختلف الاعمال لغرض أدامة الحياة وعلى حساب وقت الفعاليات الاساسية الاخرى . وقد نجم عن ذلك تردي الاوضاع الثقافية والاجتماعية والصحية للناس .

ويتحسن الوضع المعاشي لمعظم العمال والموظفين والمتقاعدين ، وتوسع النشاط التجاري مع بداية عام ٢٠٠٤ ، فضلاً عن تشريع الحكومة في جعل أيام العمل الاسبوعي خمسة أيام ، زادت أهمية الوقت وتنظيمه في حياة السكان . من ناحية أخرى ، فأن ضعف الاَمن والخدمات واختناقات المرور لا زالت تؤثر سلباً في ضياع الوقت .

ولدراسة واقع التوزيع اليومي للوقت وفقاً لبيانات المسح * ، يمكن أجراء التحليلات الاَتية:

أ: تحليل بعض المؤشرات الاجتماعية ، الاقتصادية والثقافية :

تشمل هذه المؤشرات ، تحليل حجم العوائل ، المستوى الثقافي للوالدين ، والتركيب المهني لأرباب العوائل.

* أُجري المسح بتأريخ ٢٠٠٥/٤/١٨ ولمدة أربعة أيام .

مايتعلق بحجم العوائل ، يشير جدول (١) ، أن ٣٦% من العوائل بلغت حجمها بين ٣-٦ أفراد ، وأن ٦٤% كان حجمها ٧ أفراد فأكثر . وهذا يعني ان النسبة الكبيرة من عينة البحث هي من العوائل الكبيرة الحجم .

اما التحصيل الدراسي للوالدين ، أظهر المسح ، بأن ٢٢% من أرباب الامر يحملون الشهادة الجامعية ، ٣٤% الشهادة الاعدادية ، والنسبة المتبقية ، يحملون الشهادة المتوسطة فما دون . وبالنسبة للامهات ، كانت النسب ٣ ، ١٥ ، و ٨٢% على التعاقب .

والمؤشر الاَخر ، هو مهن أرباب الاسر ، حيث وجد أن نسبة الموظفين والعمال العاملين في دوائر الدولة ٤٧% ، والنسبة المتبقية هم أصحاب الاعمال الحرة وبضمنهم نسبة من المتقاعدين أيضاً .

جدول (١) حجم العوائل ، التحصيل الدراسي والتركيب المهني لعينة البحث

% لحجم العوائل		% للتحصيل الدراسي للوالدين				% للتركيب المهني	
الحجم/ فرد	%		جامعية	اعدادية	متوسطة فما دون	المهنة	%
٣-٦	٣٦	الاب	٢٢	٣٤	٤٤	موظفين وعمال	٤٧
٧ فأكثر	٦٤	الام	٣	١٥	٨٢	اعمال حرة	٥٣

تشير النسب المئوية الى نفس الارقام المطلقة أيضاً لان حجم العينة تساوي ١٠٠ عائلة .

ب- نحليل توزيع الوقت اليومي على فعاليات العوائل :

من خلال بيانات المسح الميداني في جدول (٢) حول توزيع الوقت اليومي على فعاليتي العمل والنوم، وجد أن نسبة أرباب الاسر الذين يعملون من الساعة ٨ صباحاً الى ٣ عصراً ، بلغت ٤٧% وهم من الموظفين والعمال الذين يعملون في دوائر ومؤسسات الدولة، بمعدل ٧ ساعات عمل في اليوم . وضمن هذه النسبة، كان هناك معلمون يعملون من الساعة ٨ صباحاً الى ١ ظهراً ، وبلغت نسبتهم ٧% من عينة البحث .

اما نسبة الذين يمارسون الاعمال الحرة من الساعة ٩ صباحاً الى ٤ عصراً ، بلغت ٢٦% والنسبة المتبقية ٢٧% كانوا من الكسبة ، عمال البناء وسائقي السيارات ، الذين يعملون من الساعة ٧ صباحاً الى ٤ عصراً وبعضهم الى ٧ مساءً تقريباً .

وما يتعلق بفعالية النوم، وجد بأن ٣٤% من العوائل تنام ظهراً من الساعة ٢ ظهراً الى ٥ عصراً تقريباً ، اما ٦٦% من العينة لا ينام أفرادها ظهراً . وبالنسبة لوقت النوم ليلاً ، ظهر بأن ٣٧% من عينة البحث تنام من الساعة ١٠ أو ١١ ليلاً الى الساعة ٦ صباحاً . في حين ٤٤% من العوائل تنام من الساعة ١٢ ليلاً الى ٧ صباحاً ، والنسبة المتبقية تنام من الساعة ١٢ ليلاً الى ٨ صباحاً .

جدول (٢) توزيع الوقت اليومي على فعاليتي العمل والنوم لعينة البحث

فعالية العمل		فعالية النوم	
الوقت	% العاملين	الوقت	% العوائل
٨ صباحاً – ٣ عصراً	٤٧	٢ ظهراً – ٥ عصراً	٣٤
٩ صباحاً – ٤ عصراً	٢٦	١٠ ليلاً – ٦ صباحاً	٣٧
٧ صباحاً – ٤ عصراً	٢٧	١٢ ليلاً – ٧ صباحاً	٤٤
		١٢ ليلاً – ٨ صباحاً	١٩

وبالنسبة لفعالية تناول الطعام ، يشير جدول (٣) بان ٦٣% من العوائل تتناول فطورها من الساعة ٦–٧ صباحاً ، والنسبة المتبقية تتناول فطورها من الساعة ٧–٨ صباحاً . كما أن ٦٧% من العوائل وجبة الغذاء من الساعة ١–٢ ظهراً ، في حين ٥٩% من العوائل تتناول وجبة العشاء من الساعة ٩–١٠ ليلاً . ويبدو ان هذا التوزيع والتنظيم لاوقات تناول الطعام يتوافق مع أوقات دوام الابناء في المدارس ومع ساعات العمل الى حد ما .

جدول (٣) توزيع الوقت اليومي على تناول الطعام لعينة البحث

الفطور		الغذاء		العشاء	
الوقت	%	الوقت	%	الوقت	%
من ٦–٧ صباحاً	٦٣	١–٢ ظهراً	٦٧	٨–٩ ليلاً	٤١
٧–٨ صباحاً	٣٧	٢–٣ ظهراً	٣٣	٩–١٠ ليلاً	٥٩

يبين جدول (٤) توزيع الوقت اليومي على فعاليتي مشاهدة التلفاز والتسوق اليومي، ويتضح بان ٦٩% ممن العينة تشاهد التلفاز من الساعة ٤ عصراً الى ١٠ ليلاً ، في حين ٣١ % يشاهدون التلفاز من الساعة ٨ الى ١٢ ليلاً . وقد أشارت معظم العوائل الى تأثير انقطاع التيار الكهربائي على اشباع هذه الفعالية بكفاية . كما أن اوقاتها تتباين بخاصة في العطلة الصيفية للمدارس . كما أن حرية مشاهدة القنوات الفضائية عبر الاقمار الصناعية منذ منتصف عام ٢٠٠٣ ، زاد من أهتمام السكان بهذه الفعالية .

وما يتعلق بفعالية التسوق اليومي ، تجلى من المسح الميداني بأن ٨٧% من العوائل تتسوق من الساعة ٩–١١ صباحاً من قبل ربات البيوت ، اما ٣١% فيتسوقون من الساعة ٥ عصراً

الى ٧ مساءً من قبل ارباب الاسر . ويبدو للعادات والتقاليد ونمط أعمال أرباب الاسر تأثير على سلوك هذه الفعالية .

جدول (٤) توزيع الوقت اليومي على فعاليتي مشاهدة التلفاز والتسوق اليومي

مشاهدة التلفاز		التسوق اليومي	
الوقت	%	الوقت	%
٤ عصراً – ١٠ ليلاً	٦٩	٩–١١ صباحاً	٨٧
٨–١٢ ليلاً	٣١	٥ عصراً – ٧ مساءً	١٣

وحول الفعاليات الاجتماعية خارج البيت ، مثل زيارة الاقارب والاصدقاء ، الخروج للتنزه أو تناول وجبات الطعام الخفيفة مساءً ، لم تشر ٩٧% من العوائل الى هذه الفعالية. ومع ذلك ، فقد أشار بعض أرباب الاسر اثناء المسح الى أهمية هذه الفعالية للراحة النفسية والذهنية ، لكن سوء الوضع الامني يحيل دون أشباعها . شكل (١) يوضح توزيع الوقت اليومي على الفعاليات التي نوقشت .

ثالثاً/ مضامين وأبعاد توزيع الوقت على حياة العوائل :

ان قراءة ورؤية بيانات توزيع الوقت اليومي على الفعاليات اليومية لعينة البحث تكشف عن مضامين وعلاقات لهذا التوزيع . فمثلاً ، تبلغ ساعات العمل للموظفين والعمال في مؤسسات الدولة حالياً سبع ساعات ، وهي أقل مما في الدول المتقدمة بساعة واحدة ، ولهذا النقص أثراً سلبياً على أنتاجية هذه الشريحة.

وتكشف بيانات المسح ، بأن توزيع الوقت وتنظيمه في أداء وأشباع الفعاليات اليومية أكثر تنظيماً وتناغماً لدى العوائل التي تحظى بمستوى تعليمي وثقافي مرتفع ، ويزداد تنظيماً أذا أقترن بمستوى معيشي مرتفع ايضاً، مما يؤشر بوجود علاقة قوية بين هذه المتغيرات ، ولهذه العلاقة أنعكاسات أيجابية في حياة هذه الشريحة سيما في مجالات تنظيم الحياة والمستوى الثقافي والحضاري لهم . أما النسبة الكبيرة من عينة البحث والتي تحظى بمستوى ثقافي متدني، فأنها تعاني من ضعف تنظيم توزيع الوقت بخاصة ما يتعلق بساعات النوم ، العمل، ومشاهدة التلفاز ، رغم أن نسبة كبيرة من هذه العوائل قد تحظى بمستويات معيشية متوسطة أو عالية حالياً. يحتمل أن يفسر هذا السلوك بعامل الانحدار الطبقي والبيئي للسكان، وما يتضمنه من أثر

لعادات نمط الحياة الريفية التي ما زالت مؤثرة في حياة العديد من العوائل الحضرية في المدينة ، الى جانب أثر العامل الثقافي والتعليمي أيضاً .

يمكن تلمس أثر ضعف تنظيم توزيع الوقت اليومي ، الى جانب عوامل أخرى مساعدة، في تدهور المستوى التعليمي لدى معظم أبناء هذه الشريحة ، وما ينجم عنها من أثار سلبية على حياة العوائل وعلى المجتمع بصورة عامة .

ورغم أهمية الفعاليات الاجتماعية خارج البيت كوقت فراغ للراحة النفسية والذهنية ، الإ أن ضعف الوضع الامني حالياً وانخفاض المستوى المعيشي يحيل دون أشباع هذه الفعالية. ويترتب على هذا الضعف أجهاد لحياة العوائل وما ينجم عنها من اثار سلبية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية .

الخلاصة والاستنتاجات :

تضمن البحث دراسة ميدانية موجزة عن واقع توزيع الوقت على الفعاليات اليومية لدى العوائل الحضرية. شمل البحث ثلاثة محاور اساسية ، عرض فيه ، مفهوم الوقت وأهميته ، تحليل واقع توزيع الوقت لعينة البحث ، وابعاد ومضامين هذا التوزيع .

وفي هدُى عرض الموضوع وتحليل بياناته ، يمكن وضع الاستنتاجات الآتية :

١- يحظى موضوع الوقت بأهمية في فلسفة معظم الاختصاصات العلمية لدوره في حياة الشعوب ، وينبغي ان ينال ذات الاهمية في فلسفة الجغرافية ودراساتها .

٢- يُعد الوقت عاملاً استهلاكياً بالنسبة لوقت الفراغ ، ويُصبح عاملاً إنتاجياً أذا أحسن توزيعه وتنظيمه بين الفعاليات الاساسية اليومية .

٣- كشف البحث عن وجود علاقة طردية بين تنظيم توزيع الوقت والمستوى الثقافي للعوائل ، ويزداد التنظيم تناغماً مع أرتفاع المستوى المعاشي .

٤- كشف البحث بأن ساعات العمل للموظفين والعمال العاملين في مؤسسات الدولة أقل بساعة واحدة عن المستوى المطلوب ، رغم تمتع هذه الشريحة بيومين عطلة حالياً .

٥- لتنظيم توزيع الوقت مضامين وأثار مهمة في حياة السكان سيما في مجال أرتفاع المستوى التعليمي والصحي لابنائهم وأشباع حاجات الراحة النفسية والاجتماعية وانعكاسات ذلك على تقدم المجتمع وتطوره .

٦- ضعف الوضع الامني واختناقات المرور والخدمات تنعكس في ضُعف أشباع الحاجات الاجتماعية خارج البيت واهدار للوقت أيضاً.

المصادر

1- Oxford Dictionary , oxford university press , 1999 , pp. 783 – 784 .

2- Kuper , A. & Kuper , J. . " The social science Encyclopedia , 2nd . edition , Routledge , london , 1996 , P. 877 .

3- Edward , L. ullman , " Geography as Spatial Interaction , edited by Ronald , R. Boyce , University of Washington press , 1980 . P. 42 .

٤- هوفيك ، تورد ، وهايبرج ، توريد ، التركيز على السياحة الخارجية والاعتماد على النفس، ترجمة تماضر توفيق ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ٤٢ ، ١٩٨١، ص ١١٢ .

5- Pomple , w. & lovery , P. , " Tourism in Europe , CAB . International, U . K . 1993, P. 10 .

٦- أنجلاند ، ريتشارد ، فن العمارة من أجل السياح ، ترجمة راشد البراوي ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ٤٢ ، ١٩٨١ ، ص ٤١ .

٧- ميهوفيلوفيك ، ميرو ، وقت الفراغ والسياحة في اوربا ، ترجمة هناء محمد ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد٤٢ ، ١٩٨١ ، ص ١٠٦.